



حديث  
الكيمياء  
بين  
الأمير الأموي  
والراهب الرومي

د. جلال شوقي

يزيد بن معاوية بن أبي سفيان في علم  
الحكمة، ويعتبر هذا الأمير الأموي (المتوفى  
حوالي سنة ٨٥هـ = ٧٠٤م) من أوائل  
المشتغلين بالكيمياء من علماء العرب  
والمسلمين، إن لم يكن أولهم أجمعين.

لعلنا ونحن نؤرخ لبداية اهتمام  
العرب والمسلمين واشتغالهم  
بصناعة الكيمياء أن نرجع إلى مخطوط هام  
محفوظ بمكتبة كوبريلى بإستانبول برقم  
٩٢٤ يحتوي على «ديوان الأمير خالد بن



## ١ - سيرة الأمير خالد :

عن الأمير خالد يقول ابن النديم في كتابه «الفهرست» :

«كان خالد بن يزيد بن معاوية يُسَمَّى حَكِيم آل مروان، وكان فاضلاً في نفسه، وله همة ومهجة للعلوم.

خطر بباله الصنعة، فأمر بإحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كان ينزل مدينة مصر، وقد تقصَّص بالعربية، وأمرهم بنقل الكتب في الصنعة من اللسان اليوناني والقبطي إلى العربي.

وهذا أول نقل كان في الإسلام من لغة إلى لغة.»

ويقول عنه ابن النديم في موضع لاحق من كتابه :

«خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان» إسلامي مُحدث

قال محمد بن إسحق : الذي غني بإخراج كتب القدماء في الصنعة خالد بن يزيد بن معاوية، وكان خطيباً شاعراً، فصيحاً حازماً ذا رأي، وهو أول من تُرجم له كتب الطب والنجوم، وكتب الكيمياء. وكان جواداً يُقال إنه قبل له لقد جعلت

أكثر شغلك في طلب الصنعة، فقال خالد : ما أطلب بذاك إلا أن أغني أصحابي وإخواني. إني طمعت في الخلافة، فاحترلت دوي، فلم أجد منها عوضاً إلا أن أبلغ آخر هذه الصناعة، فلا أحوج أحداً عرُفي يوماً أو عرفته إلى أن يقف بباب سلطان، رغبة أو رهبة.

ويقال - والله أعلم - إنه صح (٢) له عمل الصناعة، وله في ذلك عدة كتب ورسائل، وله شعر كثير في هذا المعنى، رأيت منه نحو خمسمائة ورقة.

ورأيت من كتبه :

- كتاب الحراوات،

- كتاب الصحيفة الكبير،

- كتاب الصحيفة الصغير،

- كتاب وصيته إلى ابنه في الصنعة.

ويقول ابن خلكان (٦٠٨ - ٦٨١ هـ) :

١٢١١ - ١٢٨٢ م) في كتابه :

«وفيات الأعيان، وأنباء أبناء الزمان» (١٣) إنه :

«كان من أغلم قريش بشون العلم، وله كلام في صناعة الكيمياء والطب، وكان بصيراً يهذبن العلمين، مُتَقَنّاً لهما، وله رسائل دالة على معرفته وبراعته. وأخذ الصنعة من رجل من الرهبان، يُقال له

مريانس الرومي، وله فيها ثلاث رسائل تضمنت إحداهن ما جرى له مع مريانس الراهب المذكور وصورة تعلمه منه، والرموز التي أشار إليها، وله فيها أشعار كثيرة مطولات ومقاطع، دالة على حسن تصرفه وصحة علمه.

هذا ويستعد ابن خلدون (١) - في مقدمته - اشتغال الأمير خالد بصناعة الكيمياء حيث يقول (٢) :

«وولما تسوا بعض المذاهب والأقوال فيها (أي في الكيمياء) خالد بن يزيد بن معاوية، ربيب مروان بن الحكم، ومن المعلوم الشئ أن خالداً من الخيل العربي، واليدأوة إليه أقرب، فهو بعيد عن العلوم والصنائع بالجملة، فكيف له بصناعة غريبة الشئ، مبنية على معرفة طبائع المركبات وأمرجتها، وكتب الناظرين في ذلك من الطبيعيات والطب ما تظهر بعده و ما تُترجم، اللهم إلا أن يكون خالد بن يزيد آخر من أهل المدارك الصناعية تشبه باسمه، فممكن».

من هذه النصوص يبين لنا أنه يتنا يؤكد كل من ابن النديم وابن خلكان على اشتغال الأمير خالد بالكيمياء، ويثبتان أن له فيها مؤلفات وأشعاراً كثيرة، فإن ابن خلدون ينكر عليه ذلك، ولما كان ابن النديم وابن

خلكان أقرب عهداً للأمير خالد من ابن خلدون، فإننا نرجح ولا شك روايتهما على رواية ابن خلدون، لا سيما وأن هناك إشارات متواترة لاشتغال خالد بالكيمياء (٣) ونسبة أشعار كثيرة إليه في هذه الصناعة، وجميعها ما يُعرف بديوان الأمير خالد بن يزيد في الحكمة، ويبدأ بتقدمة ثلثية:

## ٢ - ديوان الأمير خالد في الحكمة :

لعل الأمير خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان (المتوفى حوالي سنة ٨٥ هـ - ٧٠٤م) هو أول من أنشأ ما نعرفه اليوم «بالعظم العلوي»، حيث دون الأمير الأموي معارفه في صناعة الكيمياء في قوالب شعرية، وقد وصلت إلينا عدة نسخ خطية من هذا الديوان الذي يشتمل - حسب ما جاء بخطوط مكتبة كوبرلي باستانبول (٤) - رقم : ٩٢٤ - على ٢٩٨٨ بيتاً، منها ٨٥ بيتاً منسوبة لابن تمام، ولعله أبو الإصيح عبد العزيز بن تمام العراقي الذي عاش في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي).

ويمكن القول بأن ديوان الأمير خالد يضم نحو ٢٩٠٣ أبيات جمعها - حسب ما جاء بنهاية مخطوط كوبرلي - محمد الليثاني (٥) بتاريخ عصر يوم الخميس المبارك الرابع والعشرين من شهر ذي الحجة الحرام

سنة ١٠٣٧ هـ = ١٦٢٧ م. ومطلع

الديوان :

يا طالباً نوريتش الحكماء

عي متطقاً بغير خفاء

هو زريق الشرق الذي هطأ به

في كتبهم من جملة الأشياء

سموه زهراً في غلبي رموزهم

والخزائن أغصن الأسماء

ودغوه بابل النار كيما يصبغوا

عن صنعة نخلنا عن البهاء

٣ - خطبة الديوان :

تقول خطبة المخطوط (١) :

..... فحكفت على درس كتب

الفلاسفة، وقراءة الأوضاع السالفة،

وطالعت الكثير من تواليهم، ووعيت

الأعداد من رسائلهم، ومن جملة ما علمت

إليه، وأشرفت عليه جمع ديوان الأمير خالد

ابن يزيد بن معاوية عفى الله عنه، والسبب

في وصوله إلى هذا العلم، وما جرى بينه وبين

مريانس الزاهد، وهو ما نسخت من كتاب

غالب مولى خالد، وهو خادمه وأمينه،

ونقته على نفسه، وقبته في أهله،

وكذلك (٢) كان مع خالد، يفوض إليه

أمره، وإتيانه إليه، وما ورد عليه من

مريانس.

قال غالب :

كان من سب خالد ومريانس الرومي

السائح في جبال بيت المقدس أن خالده (١)

خرج ذات يوم متزهراً (٢) إلى دير مريان

بدمشق، وكان مغرم بالصنعة، كلفاً بها، لا

يؤثر شيئاً عليها، وكان لا يصبر عن السؤال

عن أمرها، والبحث فيها، وعش برجو أن

يجد عنده علماً منها، ومعرفة بها، فأتاه رجل

وطلب الإذن عليه، فأدخل إليه وسلم عليه

سلاماً يليقاً، وقال له الرجل بعد سلامه :

ياي رجل من بيت المقدس، وقد أثبت

الأمر بنصيحة لم يأتها أحد بمثله.

فقال له الأمير خالد : وما نصيحتك.

قال : بلغني أنك تطلب الصنعة، فأثبت

أعبرك عن رجل في جبال بيت المقدس، أنا

عارف بمكانه، يهدي إلى بيت المقدس في

كل سنة من الذهب شيئاً كثيراً. فقال له

خالد : لئن كنت صادقاً فيما ذكرت

لأعطينك ما يقصر مراك دونه، ولئن كنت

كاذباً فيما ذكرت لأبلغن بك ما تستحقه.

فقال له الرجل : حسبك قد أئصفتني من

نفسك.

قال : ففرح خالد بذلك، وأعجبه ما

رأى (٣) منه، وأمر له بجائزة وكسوة،

ووعده خيراً جسيماً

الرومي حديثه عن الصنعة فيقول : «وقال  
إسطناس : إن هذه الأربع طبائع هي  
مزوجة من واحد، وهي الحرارة والبرودة  
والرطوبة واليبوسة، بعضها ببعض يعمل،  
وإن هذه الأخلط منها أصول، ومنها فروع.  
فأما الأصول فالماء والنار، وأما الفروع  
فالأرض والهواء. وقال إسطناس أيضاً: رأيت  
لثلاث الفلفل على غيره، لضوئه»<sup>(١٤)</sup> وصقائه،  
فالأرض من ثقل الماء خلقت، وكذلك  
وجدنا في بحارنا آياتها»<sup>(١٥)</sup> الأولين أن كل  
ذي فوق فيمن صنّو ما تحته خلّق، وكل ذي  
تحت فمن ثقل ما فوقه خلّق.

وقال سرجس الراهب : كما أن الطبيعة العليا  
السمائية ظهرت عنها الطبيعة السفلى  
الشرية، كذلك الطبيعة العالية  
السمائية»<sup>(١٦)</sup> خلقت من الطبيعة السفلية  
ومن هذه الطبيعة تكون الصنعة لا من غير  
هذه الطبيعة.

واعلم أن ما في السماء هو المدبر لما في  
الأرض، لأن الطبيعة العليا هي المدبرة  
للطبيعة السفلى»

ويشير مريانس الراهب في حديثه إلى الأمر  
خالد بن يزيد إلى آراء الفلاسفة الآخرين،

#### ٤ - لقاء مريانس الراهب بالأمر خالد :

«قال غالب : فوطني معي وجماعة من  
الموالي، فسيرنا معي في قبائل، ترفعنا أرض،  
وتخفضنا أخرى، فلبثنا كذلك أياماً في طلب  
السائح، فإذا نحن به، فلبثنا رأيناه وجدناه  
شيخاً كبيراً ضعيفاً طويلاً، حسن الصورة،  
بهى المنظر، عليه نية من شعر، ففرحنا به،  
ورفعنا به، وداريناه حتى قدمنا به على خالد،  
وأدخلناه عليه، ففرح به فرحاً شديداً، ما  
رأيناه على مثله قط، ثم اتفقت إلى فسألتني عن  
سيرتنا ورجوعنا، فأخبرته بالأمر كله، ثم  
أقبل على الشيخ فسأله عن اسمه، فقال : إن  
اسمي مريانس الرومي.

فقال له خالد : منذ كم سبحت في هذه  
الجبال.

فقال : من بعد ملك هرقل بأربع سنين.  
فقال له : يا مريانس اجلس، ورفعني في  
مجلسه فأعجبه ما رأي من شيمته وأدبته  
.....»

#### ٥ - الدروس الأولى في الصنعة : الطبائع الأربع :

عند هذا الموضع يبدأ مريانس الراهب

فيستعرد قائلا:

وهو ان قرّس: ان الأرض هي ثم الطبايع،  
منها ولدت وإليها تعود.

قال فيثاغورس: كما أنّ الأشياء كلّها إنّما  
كانت أخذت من واحد، فكذلك هذه  
الصنعة إنّما هي من شيء واحد، وجوهر  
واحد، وكما أنّ في بدن الإنسان أربع طبائع  
خلقها الله - تعالى ذكره - وجعلها معروفة  
متصلة منفصلة، مجتمعة متفرقة، يجمعها بدن  
واحد، وكلّ واحد منهن يعمل عملاً غير  
عمل صاحبه، ولها قوّم ولون وسلطان على  
حدة، كذلك<sup>(١٧)</sup> هذا الشيء، ومثل ذلك  
شهادة الحكماء إذا نظّرت إليها كثيرة.

وقال مرياسي:

إنّما كان شأن الحكماء أن يضيّعوا اسم<sup>(١٨)</sup>  
منه وبه قبل أن يضيّعوا به، فاكثف بما قلته  
لك. ويقول زوسيم: المصورون إذا أرادوا  
أن يصنعوا أي شيء من الألوان أرادوا،  
أخلطوا من الألوان والأعشاب والأجساد وما  
شاكل ذلك اللون، فيصوروا به منه،  
وكذلك صنعتنا الرفيعة إنّما شئناها  
بالمصورين الذين يأخذون أي لون شاءوا،  
ويريدون أن يعملوا به صبغاً ليصبغوا به ما  
شاءوا من ذلك اللون، وفهم أيضاً إنّ  
نحاسهم - وإن كان أحمر<sup>(١٩)</sup> في الأول -  
فإنّه لا يتففع به حتى يصير أبيض، وقوله

ليوسانيه إنّ قد أعدمنا السواد، وأنشأنا  
البياض بالملح والظرون، والذي هو بارد  
رطب، فعند ذلك سقيناه يوريطساء،  
وتصديق ما ذكرث قول قرّس إن بدن  
الأمر السواد، وبعد ذلك يكون البيض  
بالملح والظرون لأنّه إن كان بدن أمره  
أحمر<sup>(٢٠)</sup>، فصار في آخر الأمر أبيض،  
وذهب عنه سواده، ثم يصير أحمر مشرقاً.  
وقد قالت مارية: النحاس إذا أحرق  
بكبربته، وزدّت عليه الرطوبة حتى يندم،  
ذهب ظله وسواده، وصار ذهباً رفيعاً  
خيراً<sup>(٢١)</sup> مما كان.

وقال زوسيم أيضاً: إنّ النحاس إذا أحرقته  
بالكبربته، ورددت الرطوبة وصنعت به ذلك  
مراراً صار أحمر ممّا كان بلادن الله تعالى.  
وقال غيره إنار نحاس الحكماء إذا لطح  
وصفا كصفاء عيون الخيتان، فارجوا خيره  
وأيقنوا أنّه سرجع الى طبيعته الأولى وإلى  
لونه.

وقال آخر: إنّ النحاس - وإن صدى وتغير  
- فليس يخرج عن طبيعته ولونه، كالذي  
يقطع القرع من عل وجّه الأرض، والأصل  
قائم في الأرض، فإنّه يعود في النبات إلى  
حالته، كذلك نحاساً ثابت بطبيعته ولونه.  
وقالت مارية: إنّ النحاس لن يقدر أحد أن  
يذهب ظله، ولكن الرقيق غطاء في مدّة

الخبثان، وطغيه وطبعه<sup>(١٢٦)</sup> وعموا به  
والحاس فحاس نفى غير دس، لين الحسنة،  
كثير الرطوبة، ورطوبته عند الحكماء أكثر  
من حسنه، وأما ولته فإنه حجر ثقيل رزى  
قوي في حسنه لا شيء يقهره بالموازنة، وأما  
طعمه فحلو، وأما طبعه فهو شكل الهوى.

قال خالد :

فأخبرني عن رائحته قبل أن يُدبر<sup>(١٢٧)</sup>،  
فرره ميسه، وأما التدبير فهو الذي تقول فيه  
الحكماء إن هذا الماء يذهب برائحة<sup>(١٢٨)</sup>  
الميث الذي يشبه رائحة الفأر، وفيه يقول  
مرفوس الملك للحكيم علّمني ما أسألكها،  
قال أيها الملك أف ونف، وربما سماها العلماء  
بألف اسم، وعملوا فيه منافع كثيرة،  
وجعلوه ولم يعلموا أنه هو، ألا ترى إلى قول  
الحكيم ربما دبر والتدبر عمره كله ولا يعلم  
أنه معه في جانب البيت، ثم عند انهماج تطيب  
رائحته، ولا (يعني) فيه من الكدر والزفورة  
شيء.

قال خالد :

فأخبرني عنه = أرخص هو أم غالي.  
قال (أي مبرهنس) له :  
أقبل على قول الحكميم الصالح إذ يقول إن  
علّمتنا من شيء واحد، فاعقل أيها السامع،  
واستعمل فكرك، وإني أن تنفع في الأشياء

الطبع فيضه، ثم عطف الحاس على الرزى  
على آخر الأمر<sup>(١٢٩)</sup> فحسره.

فهذا قول الحكماء إن الحاس يذهب لونه  
في التدبير، ثم يعود إليه، وكما لا يقدر أحد  
أن يزع جميع الشهوات من حسد الإنسان،  
كذلك الحاس لا يقدر الرزق على تغييره  
وإذهاب لونه إلا في رأي العين، فأما في  
الباطن فلوله باق<sup>(١٣٠)</sup> ثابت، وأما الحاس  
فإنه يذهب بياض الرزق، ويُجبل لونه إلى  
الحسرة في المنظر والمضطر حتى لا يعود إلى  
حالته الأولى أبداً، لأن الحاس قوة مليحة  
عجيبة تظهر على الألوان كلها إذا  
كانت<sup>(١٣١)</sup> الألوان معسولة قد ذهب عنها  
سوادها ووسخها وبيضت، فعند ذلك يعود  
الحاس السيل إلى نحوها ...

٦ - حجر الحكماء أو حجر الفلاسفة :

يقول الكاتب : فقال خالد :

لقد وخب شكرك عليّ بما أوليت  
وأعطيت من نفسك، وقد وعدت باستتمام  
هذا الأمر فلا تنقلن عليك ما أسألك عنه،  
فإن ذلك لاغباطي بما وهبه الله تعالى من  
معرفةك، ومن عليّ به منك، ولا أطمع في  
ذكره من غيرك، وقد ذكرت لي العنصر  
واللون، وأحسنت في ذلك، وأما أسألك عن  
حسنة هذا الحجر الذي فضله ورفضه

قال (أي مريانس) :

هو كما قال الحكيم الفني والفقيه،  
والشريف والوضيع، والمساخر والمقيم، وفي  
الطريق يطرح، وفي المراحل يوجد ويوطى  
ويحتقر به، ما أوحش ما احتقرت به  
الجهال، ولم يعرفوا قدره، وأكثر منه  
الحكماء وأجلوه، واعلموا أيها الحكماء  
آله<sup>(٢٧)</sup> واحذ مكنوز مخزون فيه الطائع  
الأربع، وهو أقوى الطائع.

وقالت ماريه : إذا كننا سرنا عن السهواء،  
وأبدناه للحكماء، وسرنا واحد مطروح في  
المزابل، لكنه لا يعلم حتى يظهر ويخرج، ثم  
ترجع إليه رؤيته وتسكن فيه. وقال أيضا إنه  
سر ظاهر عظيم مكنوم محبوب عن  
السهواء، معروف عند الحكماء، فاحتفظوا  
به، فني الحفظ به تشرفون فإنه مرتفع  
مكرم، فيبغى أن لا يهان من أجل أن الله  
عز وجل كرمه، وهو في مكان يلقى كل  
واحد بظاؤه برجله، فهذه كرامة من الله عز  
وجل، إهانة حتى لا تعرفه السهواء، وهم  
يتحسرون منه، وهو أظهر منهم، لأن الله  
تعالى جعل فيه سرا مكنونا.

قال خالد :

فهل تعرف حجرا يشبه، ويعمل عمله  
لاحتجاج الطائع الأربع فيه، أهو يشبه  
الدنيا وتركيبها.

العريه، وأعلم أن الكبريت والثرابح تحرق  
وتتفرق ولا تثبت، وأن الرقيق على كل حال  
أبقى، وغير ذلك من العقاقير إذا شم النار  
احترق فكيف يرجي غير (من) شيء إذا  
دخل النار تفرق واحترق وصار فحما.  
والخجارة لا تدخل في الأحساد، ولا تغوص  
فيها لأنها، أحساد فلا تغتر بها، ولكن النظر  
إن أحسنت تدبر الظاهر حتى نصيره باطلا،  
والباطن حتى نصيره طاهرا، وإلا فكف بذلك  
عن كيسك، فإن كل شيء يشتري<sup>(٢٨)</sup>  
بالنفس فهو باطل.

قد يشت لك وأغفلت لك الذي يجب لك  
علي، وما حملتني على أن يشت لك ذلك إلا  
رحمة الرهبان الذين أخرجوا من ديارهم في  
طلب هذه الصنعة، والناس قد ضيعوا أهلهم  
وديارهم وأولادهم وأمنوا أعمارهم، وجعلوا  
عنايتهم فيما لا يرد عليهم ضرا، فأياك  
والنفقة، فإن العلم النام ليس فيه نفقة، ولا  
يشتري بشئ، وفي ذلك يقول زوسيم  
لأوناسيه : أحذرك أن تغرمي في أشياء<sup>(٢٩)</sup>  
وهي العقاقير التي تسمى صنعة الذهب،  
وقال أيضا من التمس سر هذا الحجر فهو  
أمن بمنزلة من أراد أن يصنع سلما بغير  
درج، فإنه يسقط على وجهه.

قال خالد :

مفقود هو أم موجود.



قال (أي مريانس) له :

ليس في الدنيا حجرٌ غيرُه يُشبهه في عمله وطبيعته، ولم يعمل حكمائنا إلا ما به ولو الثمن العمل من غيره لما استفاد لهم تديروه، ولا طواعيهم، والبأس في هذا الأمر على أربع منازل :

إما رجلٌ أودعه فكتمه ولا يخبر به إلا لمن استحقه، وإما رجلٌ لا يطلب منه شيئاً، وترك العاقل طلب الحكمة عجزاً وضعف رأي منه،

وإما رجلٌ يتدع تديراً وعلاجاً من ذات نفسه، فذلك الهالك المهلك، وإما رجلٌ علم نفسه وقرع قلبه، وصرف جهته في جمع كتب الحكماء، وواظب على قراتها، ودأب النظر فيها، ووقفه الله لذلك، وأنهم بما اتضح له منها، شكر الله تعالى عليه، وما أشكل عليه منها رغب إلى الله عز وجل تضرعاً إليه، وسأله أن يكشف له، ويفتح له ما عجز عن فهمه.

فلما سمع خالده هذا القول، لم يزل مُكَيِّاً على قراءة كتب الحكماء، ناظراً فيها، مُتَبَلاً عليها، يقيس بعضها على بعض، ويستشهد بعضها على بعض، حتى وَقَب الله له معرفة ما التمس.

ثم قال خالده للعالم :

اعلم أنه لا يتعلم علم مريانس إلا العاقل

الزوق، وبالله توفيقى، وبه نستعين. الزم ما غالب هذا الشيخ، واحتفظ ما تراه منه، فإن أعاف أن يهلك قبل أن آخذ علمه، وإن فُتِكَ قبل ذلك إنها لخسارة، وأنا أرجو أن يعطينا الله عز وجل، ويهب لنا علماً ينفعنا به وجوده...

وهنا نجد على الفاضل الأيسر لهذه الورقة السطور الآتية : نسخة

ومن الخمر ربع جزء، واعلم أن مخمر الذهب ذهب، ومخمر الخمر منه، ولا يصنع إلا به، وأجعل هذا الربع جزءاً من الخمر مع مخمر الذهب، ومن مخمر الخمر ما يصلح به، واحملهم على الطبخ.

وتابع كلام مريانس حيث يقول :

«حتى إذا صاروا شيئاً واحداً فأبدأ على بركة الله وعونه في الغسل، وهو أن تصب عليه جزءاً من السم وتطبخه به مملأً تلك، وانظر لا ينقص من إنائه أيّاً من شيء ولا تغفل عن أمر النار لتلا يشتد نارها، فتهلك قُدْرُك، وتدمر على ما فيها بما ترجو غيره، ثم اغتد إلى قُدْرُك بعد سبعة أيام، وانظر إلى الإكسير، فإن كان شرب الجزء الذي جعل فيه السُّرَّ، فاستيقه جزءاً آخر من بياض البيض، وزد في قوة نارك قليلاً حتى يشربه، فإذا عاد إلى البيس فاستيقه من الماء النقي كما فعلت في الأول، واقبل به ذلك من السقي

في الطبع حتى يستوعب ما كان تقيّاه من الماء، ولا يبقى منه شيء، فعند ذلك تظهر الأرواح وتختلف الألوان، ويلبس الإكسير لباس الملك، ويستلذ العذاب، ويصير على الحر الشديد واحداً<sup>(٣١)</sup> وعشرين يوماً، وهذا كله موجود في كتب الحكماء، وأطلبه فأبكت لحذه ميتاً مشروحاً واضحاً، فأكتب بقولي هذا أيها الأمير أرشدك الله، فأبكت لذلك مطلوبتك، وتعال من الدنيا حاجتك، يتطول الله عليك، وتوفيقه إياك.

قال خالد :

هل فرغ التدبير، أو بقي منه شيء تخبرني إياه.

قال (أي مرياس) :

يا خالد - قد فرغ لمن أحب الاختصار، ولمن أحب الفائدة فليسقه من الماء الخالد يكون مُعداً له عنده، فإنه يزيد صبغاً وقوة إلى أن اكتمل أيها الأمير.

وأعلم أنه من يزيد يزيد في صبغه بلا نهاية، ويشرب كلما سقته بلا نهاية.

فتعجب خالد من ذلك طويلاً، ثم أقام مرياس عند خالد إلى أن أقام العلم عياناً، وبلغ من العلم والعمل بُقته، فرفض الدنيا، والحاز عماً كان عليه أبوه وجده من أمر الخلافة، وهياً<sup>(٣٢)</sup> له ظاهر مدينة جحش قصرًا، وهو المعروف إلى هذه الغاية بقصر

خالد، ويقولون كان نزهة خالد مع أهل الفقر والضعفاء والمساكين والغرباء حتى أخرج من الدنيا.

وقالوا إن خالدًا عمل في ذلك القصر مدة قريبة على هذا التدبير، وعلى هذه الصفة من هذه الرسالة يقول مرياس ماله نهاية، وبذل وأعطى للناس، وأتقى في سبيل الله، فمن نكون له ثبته للخير والسداد والصلاح والكرم، فيرزقه الله عز وجل بحسن نيته، وهذه وصفة خالد، وأضى عمره بعد تمام عمله وحصول مقصوده، ولحق بمن مفضى من الجيال، وقر خالد ظاهر جحش، ظاهر الباب المعروف بباب الرستن بالقرب من قصره.

ونسأل الله الجود علينا بمعرفته وعافيته وجزيل عطائه، والمواهب لنا.

قال الكاتب : قد بين مرياس في هذه الرسالة وستر، وأنبغ مذاهب الحكماء، ونطق بكلامهم، فقولُه يُنْ لِلَّهِ<sup>(٣٣)</sup> مستور عن الجهلة، والخير بيد الله تعالى ثم إن خالدًا عمد إلى تصنيف ديوان أفهم به جماعة من طلبه هذا العلم، ونحن نتدي بعون الله وليته، ونكتب أشعاره، لأنه لم يسبقه سابق، ولا تقدّمه متقدم إلا كان مُقصرًا عنه لأنه سيك أقاويلهم ونظمها،

وأنى بأمنائهم وأخبارهم، وقسر أزماعهم،  
وشرح أثمارهم بأحسن لفظ وعارة».

وفي ختام هذا الحديث نجد الإشارة  
إلى أنه قد وردت في هذه المقدمة الشرية  
للديوان أسماء عدد من الحكماء منهم :

«هرقل الملك، وإسطاس، وسرجس  
الراهب، وهرمس، وفيناغورس، وأرس،  
وزوسيم، وأوثاسيه، ويوسايه (أوبوسايه)،  
وماربه

ومن المواد التي أشار إليها المخطوط  
نذكر ما يلي :

«التحاس، والملح، والنطرون، وبوريطس،  
والكبريت، وأبار التحاس، الزئبق، والحجر  
المعراوي الأرجواني، والياقوتة الحمراء،  
وحجر العصفور، والسيقون، والزرايخ،  
والأكسور، والماء الخالد.

لعل هذه الدراسة المتقنية لشأنة صنة  
الكيمياء، أو إن شئت البداية الأولى

للحكمة الآتية، لعلها تكون قد ألقت بعض  
النوء على عملية انتقال المعارف الكيميائية  
من مدرسة الإسكندرية إلى علماء العرب  
والمسلمين، وأن تكون قد أوضحت الثغام عن  
أولى عمليات نقل العلوم إلى العربية، حيث  
كانت الكيمياء أول ما نُقل إلى اللسان  
العربي.

إله وإن كانت الكيمياء قد بدأت  
متأثرة ومدفوعة بفكرة إمكان تحويل  
المعادن الحسيسة إلى معادن ثمينة إلا أن  
التقدم الذي أحرزته المدرسة الإسلامية  
العربية في مجال التفاعلات الكيميائية،  
والعمل بأوزان مقدرة وزمنة مقاسة،  
والاتحاد من البداية إلى الاعتماد على التدبير  
- أي التجربة - والممارسة والملاحظة  
والاستقراء والقياس، كل ذلك قد حوّل  
هذه الصنعة إلى علم ذي أصول، وجعل  
للبحث منهاجاً علمياً سبقت به المدرسة  
الإسلامية حضارة الغرب بمئات السنين.

## ● الهوامش ●

(١) معزور يدور الكتب القطرية بالدوحة - رقم مكتب ١٤٦، ويقع في ١٩٠ صفحة

(٢) في الأصل : اصح

(٣) الجزء الثاني، صفحة ٢٢٤

(٤) هو ولي الدين، أبو زيد عبد الرحمن بن حنبل، ٧٣٢ - ٨٠٨ هـ - ١٣٣٢ - ١٤٠٦ م

(٥) طبعة دار الفكر بيروت، صفحة ٥٠٥

(٦) مثال ذلك : طبعة بريانوس الزاهد طبعه بن زويد في الكيمياء، ابن حنبل، ٢٢٤/٢، كشف الظنون خاصي طبعة

٦، ١٧٨٤، كذا برسان طبعه بريانوس الزاهد، المخطوط مكتبة طبعه على

(٧) معزور يدور الكتب القطرية بالدوحة - رقم مكتب ١٤٦، ١٩٠ صفحة